وايرلندا الشمالية ، وقد حضرت أنا حفلة خاصة ( اقامتها منظمة امنستي Amnesty ) **حيث** عرضت هذه الافلام الواحد تو الاخر . وقد عرض الفريق نفسه لاخطار لا تعد ولا تحصى لجمع هذه المواد ، وكثيرا ما كان اعضاؤه يفعلون ذلك منتحلين صفة السياح ومستخدمين كاميرات ٨ ميلمتر الصغيرة . لكن لفرانادا ، كما **للفارديان وللصنداي تايمز** ، مجموعة مختلفة من القواعد والمقاييس للمشكلة الفلسطينية .

أود أن يكون من الواضح تماما انني اتكلم بصفتي صحافية مستقلة . لقد عملت في هيئة محرري صحيفة **التايمز** ( الاخبار التجارية ) لمدة سنة ، وعملت ، كذلك ، في مجلات شهرية واسبوعية . وقد حدث تورطي في الشرق الاوسط بمحض الصدفة . فانا غير مرتبطة بأي من الجماعات الضاغطة المختلفة التي تؤيد القضية في بريطانيا ، اذ أشعر أنه من الضروري للصحافي ان يكون مستقلا ، ولا اريد ان أبشر للمهتدين. وشأني شأن الكثيرين من زملائي ، قاومت الانهامات التي وجهتها تلك الجماعات الضاغطة حول الرقابة المزعومة على المواد التي اما تنتقد السياسات الاسرائيلية أو تكشف عن المحنة الفلسطينية ، طولا وعرضا . فقد وجدت هذا الانتقاد مائعا ، وتذمرا تتقاسمه الجماعات الضاغطة جميعا ، الى ان حدث الامر معي .

لأكن صريحة حول تورطي في حالة الشرق الاوسط . لقد ابتدأت بأوهى المعلومات عنها ، وكنت مليئة بالاعتقادات والافكار الخاطئة التي تمثل النظرة الغربية الكلاسيكية . وليس لعائلتي اية صلات ( عرقية او عسكرية او دبلوماسية ) بالشرق الاوسط ، لذا ابتدأت حول الموضوع من الصفر . غزرت اولا اسرائيل عام ١٩٦٦ عندما كنت في الثانية والعشرين، سريعة التأثر، وأقاوم تربية غربية تربط الاستكشاف والمدنية والثقافة بالانسان الابيض . وصورة اسرائيل قوية في الغرب ، ولكننا لا نعلم شيئا عن الفلسطينيين . وقد زرت اسرائيل كالكثيرين غيري من الجوالين الشبان ذوي الميول الاشتراكية.

اعتقدنا ( وكم كنا مخدوعين ! ) ان اسرائيل تقدم اشتراكية حقيقية ، ارضا يعيش عليها الناس قريبين من التراب ، وتتمتع فيها النساء بالمساواة ، ويشعر فيها القوم من خلفيات عديدة بأنهم جزء من مجتمع نشيط وراديكالي . ولم يطل بي الوقت حتى أدركت ان هذه الصورة مضللة خادعة الى حد مبئوس منه . فذلك المزيج المعلب من ضوء الشمس والصحة والنشاط والغريزة الصرفة وهلم جرا كان غطاء منظما بصورة بارعة ماكرة يهدف عن طريق الخداع ، الى كسب التأييد والدعم من اليهودية العالمية ، اروع ابنائها ، والاهم من ذلك : جيوبها. وكان لذلك الغطاء هدف اضافي . فهو يخدع المفكرين في الغرب . والامر الادهى من ذلك هو انه يطمس صرخة فلسطين وفي الوقت ذاته يقدم ملصقات زاهية الالوان لصناعة اسرائيل السياحية.

وكانت حرب ١٩٦٧ هي التي جعلت الكثيرين منا في الغرب يقفون وجها لوجه امام الحقيقة البشعة للقضية الفلسطينية . فبين ليلة وضحاها جعلتنا الحرب نعي شعبا منسيا . وقمت بأول زيارة الى المناطق المحتلة عام ١٩٦٨ ، وتساءلت كيف نستطيع نحن ، في الغرب ، ان نرفع رؤوسنا بوجود مثل الاوضاع السائدة في غزة . لقد اختبرت الفقر والخزي في جنوبي افريقيا ، ولكن لا يوجد شيء تمكن مقارنته بهذه المعضلة الفلسطينية . فالتمزيق الجوهري لامة من الناس بأسرها يجعل هذه القضية أكثر من مجرد مشكلة لاجئين ، او نتيجة بشعة من نتائج الحرب . واعلم أن غزة ، ومنظر بلدة الاشباح التي كانت ذات يوم مخيم لاجئي أريحا ، روع الكثيرين من اليهود الاسرائيليين الشبان وأبعد الضباب عن أعين الكثيرين من الصهاينة المكرسين . ولم يكن منظر مخيم اللاجئين ورائحته هما اللذان حطما الوهم ، بقدر ما كان الادراك بأن هذه الحقائق لطالما قللت اكتب المدرسية والمؤسسة الصحافية الاسرائيلية من شأنها او طمستها ، كما انها كثيرا ما لقيت الاهمال والتجاهل في الغرب .

وقمت بزيارة المناطق المحتلة ثانية عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ ، وكانت آخر مرة عام ١٩٧٢ ، قبل حرب تشرين ( اكتوبر ) بأقل من شهرين . والكتاب الذي كلفتني غرانادا بتأليفه يشمل ويرمز الى تورطي النامي في الحالة وتنوري المتزايد . ونتيجة لذلك ستكون طبعتي الثانية اقوى واكثر صرامة . لقد وجه الي نقد شديد لكوني معتدلة اكثر من اللازم في كتابي ، ومعنية اكثر من اللازم في عرض امتداد واسع من الاراء المتعارضة . وانتقدني صهاينة متحمسون انتقادا